جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 30. العدد. 03. السنة. 2026.
مجلة المعيار
EL MIEYAR

الأزمات الصحية في عهد "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه: مقاربة إستراتيجية– اتصالية لأزمة طاعون عَمَواس (18هـ– 639م)

Health crises during the reign of "Umar ibn al-Khattab, may God be pleased with him": A strategic communication- approach to the plague of Amwas (18 AH - 639 AD)

د. بورحلة سليمان[1]
s.bourahla@univ-bouira.dz

أ. عربي عبد الحميد[2]
aribihamid92@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2026/03/27 تاريخ النشر: 2026/06/11
Received: 27/03/2026 published: 11/06/2026

ملخص المقال:

تُساهم هذه الدراسة في وضع مقاربة إستراتيجية لأزمة طاعون عَمَواس (18هـ– 639م) في فترة حكم "عمر بن الخطاب"، وقد ركزنا على عنصر الاتصال الذي يُعتبَر محور إدارة أزمة الطاعون خلال فترة ظهوره، وبالتالي فإن التحليل الاتصالي يقودنا إلى توصيف معمق للأزمة مع إطارها الزماني والمكاني، وكذا وضع مقاربة اتصالية للأزمة الصحية تشمل: تحليل مصفوفة الأزمة، الإستراتيجية الاتصالية لإدارة الأزمة وكذا استقراء النموذج الاتصالي لإدارة الأزمة من قبل الفريق الأزموي تحت إمرة "عمر" رضي الله عنه.

إنّ الدراسة المعمقة لأزمة طاعون عمواس نستنبط منها جملة من المبادئ الصحية ذات البعد الاتصالي– الإستراتيجي، وبالتالي يمكن القول بأنّ إستراتيجية إدارة أزمة الطاعون هي بمثابة فنّ حماية الخلافة الإسلامية، وقد تم درء الأزمة عبر مجموعة من التكتيكات كالتباعد الصحي، اللجوء إلى الجبال للسيطرة على انتشار الوباء واحتوائه، الاتصال الروحي والتضرع بالدعاء والوقاية وتفعيل بعض البروتوكولات الصحية، لتبقى إدارة هذه الأزمة إحدى أهم النماذج الإسلامية للاستفادة من مبادئها الإستراتيجية والاتصالية.

كلمات مفتاحية: الأزمة الصحية، الاتصال الصحي، طاعون عمواس، الإستراتيجية الاتصالية.

Abstract:

The Plague of Amwas Crisis (18 AH - 639 AD) during the Caliphate of Umar ibn al-Khattab, may God be pleased with him. We focused on the communication element, which is considered the axis of crisis management. Therefore, communication analysis leads us to an in-depth description of the crisis with its temporal and spatial framework, as well as the development of a communication approach to the health crisis that includes: an analysis of the crisis matrix, the communication strategy for crisis management, and an extrapolation of the communication model for crisis management by the crisis team led by Caliph Umar ibn al-Khattab, may God be pleased with him.

Keywords: *Health crisis, health communication, the Plague of Emmaus, communication strategy.*

(1) جامعة آكلي محند أولحاج– البويرة (الجزائر).
(2) جامعة د. مولاي الطاهر– سعيدة (الجزائر)

مقدمة:

ظلّت المشاكل الصحية؛ وتحديدًا الأوبئة والطواعين من المعضلات السيئة التي أثرت بصورة كبيرة على الأمم المتعددة عبر التاريخ، فهذه الأمراض الفتاكة لها تأثير سلبي حاد متعدد الأقطاب، يَمس النواحي الاجتماعية، الاقتصادية وحتى البشرية، غير أنّ الرسالة المحمدية عندما نزلت على النبي محمد ﷺ وضعت علاجًا لكل أزمة، وتخطيطًا وقائيًّا تنبئيًّا قبل وقوعها، وذكر النبي الكريم ﷺ واستعاذ من الطاعون، وأرسى القواعد الإستراتيجية والاتصالية لدرئه ومحاربته، وذلك وفق ما جاء في الأحاديث النبوية الشريفة، وعلى نهجه سار الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) من بعده، ومن ضمنهم سيدنا "عمر بن الخطاب" dوالذي وَقع في فترة خلافته طاعون عمواس موضوع دراستنا.

حكم "عمر" رضي الله عنه الدولة الإسلامية في ظروف حساسة وحرجة، خاصة مع نشر الدعوة الإسلامية عبر الاتصال الإقناعي والدعوة إلى الهداية، وفي الوقت نفسه كان جيش المسلمين يحارب عبر جبهات متعددة للحفاظ على كيان الدولة، ولكن في هذا السياق تعرضت الأمة الإسلامية في خلافته رضي الله عنه إلى عديد الأزمات الاقتصادية، البيئية والصحية، والأزمة الصحية التي ضربت كيان الأمة هو الطاعون الذي عُرف باسم طاعون عَمَواس سنة 18هـ- 639م، كان هذا الطاعون امتحانًا صعبًا على المسلمين وقائدهم "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه، حيث تفشّى في مناطق إستراتيجية بالنسبة للخلافة وخَلّف آثارًا ومآسي بين الناس، ومات بسببه كثير من الصحابة وجيش المسلمين.

لقد تَولّى الخليفة "عمر" مسؤولية إدارة هذه الأزمة، وتبنى إستراتيجية اتصالية لدرء الأزمة واحتواء الطاعون، وذلك وفقًا لما تم تطبيقه من تكتيكات فنية وتوجيه خطاب اتصالي- صحي للأمة لتفهم الوضع وتقبله مراعاةً لحفظ النفس البشرية، وقد اعتمد في خطابه على الاتصال كأداة تكتيكية لتبليغ الرسالة للناس، وكذا توصياته بضرورة الحفاظ على طول النّفس والصبر مع الأزمة، وتم توجيه بعض التعليمات لاحتواء الوباء كالعزل الصحي، التوجه نحو الجبال والتباعد بين الناس حفاظًا على أرواح المسلمين في تلك الفترة الحساسة.

أهداف البحث:

يَهدف البحث إلى دراسة أزمة طاعون عمواس الذي ظهر وانتشر في بلاد الشام خلال فترة "عمر بن الخطاب" دراسة إستراتيجية- اتصالية معمقة، ومعرفة التدابير العلاجية والوقائية التي اتخذها "عمر بن الخطاب" مع فريقه الأزموي لاحتواء الوباء، وكذا محاولة الوصول إلى جملة من المبادئ الصحية المتعلقة بالأزمات الصحية، وقد اعتمدنا على المنهج التحليلي- الاستقرائي للوصول إلى النتائج المرجوة.

إشكالية البحث:

من خلال ما تم ذكره، يمكنا طرح السؤال التالي:

ما هي الآليات الاتصالية الإستراتيجية لإدارة أزمة طاعون عمواس في فترة حكم "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه؟ **وما هي أهم المبادئ الاتصالية الصحية لإدارة هذه الأزمة؟**

خطة الدراسة:

تجلّت خطة الدراسة في العناصر التالية:

- ✓ مفهوم طاعون عمواس، التوصيف العام للأزمة وإطارها الزماني والمكاني.
- ✓ شدة أزمة طاعون عمواس وعرض مصفوفتها.

- ✓ التوصيف الإستراتيجي الاتصالي لإدارة أزمة طاعون عمواس.
- ✓ نهاية أزمة طاعون عمواس واستخلاص المبادئ الصحية والاتصالية منها.

1. مفهوم طاعون عمواس

1.1. التوصيف العام لأزمة طاعون عمواس:

1-مفهوم الطاعون وطاعون عمواس:

يُعتبَر الطاعون (**plague**) من الأوبئة والأمراض التي ظهرت في المجتمعات الإنسانية منذ القدم، وقد تم الكشف عن ذلك من خلال الإجراء الميداني الدقيق للحمض النووي في أجزاء من جسم الإنسان كالأسنان وغيرها، وقد عكف الباحثون على وضع عدة تعريفات له؛ لغةً واصطلاحًا، وهي كالآتي:

أ. الطاعون لغة: مشتق من الطعن وجمعه طواعين ويُقصَد به داء وبائي(منظور، 2005، صفحة 189)، على وزن فاعول، صيغة مبالغة سماعية، سُمي بذلك لعموم مُصابه وسرعة قتله (الدقر، 1975، صفحة 573).

ب. اصطلاحا: عرف الطاعون بشكل عام بأنه مرض وبائي (**epidemic disease**) قاتل ينمو بين الحيوانات وينتقل إلى الإنسان عبر الهواء أو عبر بعض البعوض والجرذان، وللطاعون ثلاثة أنواع هي: (الطاعون الدبلي)، (الطاعون الرئوي)، (طاعون انتان الدم)، وتنتج عن هذه الطواعين الثلاثة التي سماها الأوربيون (الموت الأسود- **Black Death**) بكتيريا دقيقة تُسمّى بالبرسينية الطاعونية، وهي عبارة عن كائن حي مجهري قادر على التكيف في وسط هوائي وغير هوائي، أو عن طريق التنفس والتخمر، كما يُمكن لهذه البكتيريا أنْ تعيش داخل حوايا الحيوان الحامل لها دون أنْ تفتك به (الجوزية، 2009، صفحة 35)، وأشهر طاعون بين هذه الطواعين الثلاثة هو "طاعون الدبلي" إذ أنّ الطاعون الدبلي يعتبر في الغالب مرادفًا لمصطلح الطاعون.

ويُعرّفه الطبيب المشهور (ابن سينا- **Ibn Sina**) بأنه "مادة سمية تُسبب ورمًا قاتلًا يَحدث في مواضعَ الرخوة من الجسم، وغالبًا ما يكون تحت الإبط أو أسفل الأذْن أو عند الأرنبة" (سينا، 2000، صفحة 164).

أما المؤرخ والمفسر "ابن حجر العسقلاني" فقد عرفه بأنه "داء شديد يُفسد به الهواء وتفسد به الأجسام والأحوال، وهو مادة سمية تُحدث ورمًا قاتلًا" (العسقلاني، 2010، صفحة 278)

وقد ذكر الرسول ﷺ وصفًا لمرض الطاعون قائلًا: (الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد، والفارّ منه كالفارّ من الزحف)(البلاذري، 1980، صفحة 165).

ج. طاعون عَمَواس: سُمي بهذا الاسم (عَمَواس) بفتح العين والميم، نسبة إلى قرية بالشام من كُور فلسطين، بين الرملة وبيت المقدس(البر، 2005، صفحة 794)، حيث نُسب الطاعون إليها لأنه بدأ منها، وقال الأصمعي: (لأنه عمَّ الناس وتواسوا فيه)، فهو طاعون دبلي شديد وقع بالشام في زمن "عمر" رضي الله عنه، يُعدُّ أول طاعون في الإسلام، مات فيه خلق كثير، وقع سنة (**18هـ الموافق لـ: 639م**).

يُعتبَر طاعون عمواس مرضًا شديد العدوى ظهر بين القوارض، ثم انتقل إلى الناس بواسطة البعوض والبراغيث، حيث إنّ هذه الكائنات تحضن البكتيريا المسببة للمرض في أمعائها ثم تُدخلها في جسم الإنسان عند لسعه، وتَتخذ هذه البكتيريا مسارها عن طريق الدم

إلى الغدد اللمفاوية (**lymph nodes**) مما يَجعل هذه الغدد تُصاب بالتهاب حادٍّ يُسبب الموت المباشر (سينا، 2000، صفحة 165).

2.1. السياق الزماني والمكاني لأزمة طاعون "عمواس":

وَقع هذا الطاعون في بلدة "عَمَواس"، وهي قرية فلسطينية تقع جنوب الرملة بالقرب من بيت المقدس، وقد ذكر "أبو العباس الفيومي" بأن عمواس بلدة بالشام بالقرب من القدس، وقد كانت قديمًا مدينة عظيمة، وتم فتحها سنة 13هـ في خلافة "أبو بكر الصديق" رضي الله عنه على يد القائد "عمرو بن العاص" رضي الله عنه، بعدما انتصر على البيزنطيين هناك، وبالتالي أضحت هذه المنطقة نقطة إستراتيجية لجيش المسلمين ونقطة مراقبة أمنية مهمة خلال الربط التكتيكي بين الجبهات نحو فتح بيت المقدس (الأثير، 1980، صفحة 588)، أما مكان انتشاره فقد ذكر ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ): "إنّ طاعون عمواس ظهر في بلدة عمواس الفلسطينية ثم انتشر في بلاد الشام كافة فظهر في سوريا والأردن، وقد أكد "**أحمد العدوي**" على ذلك فذكر أنّ الطاعون ضرب بلاد الشام مرتين: الأولى في السنة 17هـ والثانية 18هـ فأصابها كافة (العدوي، 1999، صفحة 148).

وتذكر بعض المصادر بأن حصول الطاعون في ذلك الوقت جاء بعد المعارك الطاحنة بين المسلمين والروم، وكثرة القتلى وتعفن الجو وفساده بتلك الجثث أمرًا طبيعيًّا، قدره الله لحكمة أرادها، فكانت شدته بالشام. وقد اختلف المؤرخون في سنة وقوعه، فمنهم من قال إنه وقع في سنة (**18هـ الموافق لـ: 638م**)، ومنهم من قال إنه وقع سنة (**18هـ الموافق لـ: 639م**) وقد رَجّح أغلب المؤرخين الرأي الثاني، وقد وردت إشارات بأن الطاعون في هذا العام انتشر مصاحبًا لطاعون عمواس في بلاد العراق ومصر كذلك، ولكن لم نَجد ما يفيد على تلك الرواية (الصلابي، 2005، صفحة 231).

وذكر "**ابن حجر**" ذلك قائلًا: "إنّ ذلك كان في ربيع الثاني سنة ثمانية عشرة، إنّ الطاعون قد وقع في محرم أو في صفر ثم ارتفع، فكتبوا إلى عمر فخرج حتى إذا نزل مكانًا قريبًا من الشام فبلغه أنه أشد مكان (العسقلاني، 2010، صفحة 279).

وقد قال: "**أبو زرعة الرازي**": "إنّ الطاعون ظهر في السنة السابعة عشر للهجرة، وقد ذكر المؤرخ المشهور "**بن عمر التميمي**": إنّ طاعون عمواس ظهر لأول مرة في السنة السابعة عشر للهجرة لكنه زال قبل أنْ ينتشر، إلّا أنه ظهر مرة أخرى في السنة الثامنة عشر للهجرة، فانتشر بشكل رهيب وفتك بالناس(الدمشقي، 1999، صفحة 78).

2. شدة أزمة طاعون عمواس

1.2 ذروة انتشار الطاعون:

أراد "عمر" رضي الله عنه أنْ يزور الشام للمرة الثانية، فراح إليها ومعه المهاجرون والأنصار حتى نزل بسرغ (آخر المناطق بالأردن)، فالتقاه قادة الجيش وأخبروه بأن الأرض سقيمة، وكان الطاعون بالشام، فشاور سيدنا "عمر" رضي الله عنه الصحابة المهاجرين الأولين على دخول بلاد الشام أم الامتناع عنها، فاجتمعوا على أمر رسول الله ﷺ حيث قالوا: "ارجع بالناس فإنه بلاء وفناء، فأمر الخليفة "عمر" أنْ يُنادى في الناس ليعدوا رواحلهم متى أصبحوا، فلما أصبحوا اجتمعوا فأخبرهم بعودته إلى المدينة (الطبري، 1977، صفحة 566).

فَتَك وباء عمواس ببلاد الشام بالكثير من أفراد القبائل هناك، حتى أنّ بعض البيوت منها قد هُلك أهلها عن آخرهم، ووصل الخبر بذلك للخليفة "عمر" رضي الله عنه، فكتب : (أنْ ورثوا بعضهم من بعض)، بعد ذلك توجه سيدنا "أبو عبيدة بن الجرح" رضي الله عنه من

الجابية إلى بيت المقدس للصلاة فيه وعندما وصل منطقة (فحل) بالأردن أثقله المرض، فدعا من حضره من المسلمين فقال: (يا أيها الناس إني موصيكم بوصية إنْ قبلتموها لن تزالوا بخير: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، صوموا رمضان وحجوا واعتمروا وتواصوا وأَنصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم) ثم مات وكانت وفاته بفحل، وبها قبره (الجوزي، 1985، الصفحات 498-499).

تعرض الناس خلال ذروة الوباء لمجموعة من الأعراض في أجسادهم، فقد ذكر الإمام الذهبي رحمه الله في كتابه "سير أعلام النبلاء" أنّ المصابين بطاعون عمواس كانوا يعانون من آلام وأوجاع شديدة الحدة تشبه تمامًا كالذي تعرض إلى طعنات في جسده، وهنا يصف الإمام الذهبي أعراض الوباء وشدته التي ظهرت عانى منها المصابون، ولكن رغم هذا التوصيف إلّا أنّ المؤرخين لم يتفقوا على ذكر أعراض طاعون عمواس بشكل دقيق، لكن أعراضه كانت تتمثل فيما يلي:

- ✓ الإصابة بالحمى وآلام الصداع.
- ✓ الشعور بآلام شديدة في العضلات تشبه الوخز مع بثور واضحة.
- ✓ ظهور انتفاخ خلف الأذن، أسفل الإبط وفي الغدد اللمفاوية.

جدير بالذكر هنا، أنّ هذه الأعراض سابقة الذكر هي أعراض عدوى الطاعون "الدملي"، حيث أجمع جلّ المؤرخين العرب والعجم الذين دَرَسوا تاريخ الشام على أنّ وباء "عمواس" هو طاعون" دُملي".

2.2 أشهر وفيات الوباء:

تَسبّب طاعون عمواس في حصد الآلاف من المسلمين ببلاد الشام سنة 18هـ، ففتك ما يناهز ثلث ساكنة الشام، ولم يتفق المؤرخون حول عدد الضحايا، فروى **"ابن كثير"** عن **"الواقدي"**: "مات فيه خمسة وعشرون ألفًا (000 25) (الواقدي، 1980، صفحة 231)، وروى **"ابن كثير الدمشقي"** أنّ عدد قتلى طاعون عمواس بلغ ثلاثون ألفًا (000 30) (الدمشقي، 1999، صفحة 78).

وقد التحق العديد من كبار الصحابة برفيقهم الأعلى في هذا الوباء، ومن بينهم:

- ✓ أمين الأمة "أبو عبيدة بن الجراح" رضي الله عنه، (كان قائدًا للجند في الشام).
- ✓ "معاذ بن جبل" رضي الله عنه، وقد كان من كبار الأئمة الربانيين، والتحقت به زوجته وابنه عبد الرحمن نتيجة الإصابة بالمرض.
- ✓ "سهيل بن عمرو العامري" خطيب قريش.
- ✓ "أبو مالك الأشعري" رضي الله عنه، والذي عرف عن إقدامه وشجاعته أيام خيبر.

3.2.مصفوفة أزمة وباء عمواس:

فيما يلي، سنعرض مصفوفة أزمة طاعون عمواس، التي تُساعدنا في التوصيف الكيفي للبيئة الحاضنة له، شدته وحِدّته التي أدّت إلى وفاة الآلاف من أرواح المسلمين في بلاد الشام، حيث ظَهر الطاعون كأزمة وبائية بطابع فجائي عَصف بمنطقة أمنية إستراتيجية كان يَرتكِز عليها جيش المسلمين في الإمداد والدعم اللوجستي للجبهات الأخرى، ولم يرتبط الطاعون بنسق مؤسساتي معين، بل ضرب نسيجًا مجتمعيًّا في طور الارتقاء والتطور، وبالتالي فتك بأرواح المصابين به وبلغت أزمة الوباء شدة الخطر ذروتها في أيامه الأولى، وكانت درجة التحكم فيه صعبة للغاية، نتيجة البيئة القاسية التي تَميّزت بها المنطقة آنذاك بعد أزمة الجفاف وانحباس المطر، مما ساعد على انتشار الوباء بشكل سريع.

الشكل رقم (01): مصفوفة أزمة طاعون عمواس (مقاربة اتصالية)

أزمة صحية	**أزمة وبائية ذات طابع فجائي**
أزمة شديدة	**أزمة مرض مرتبطة بنسيج مجتمعي**

شديدة **تراكمية** **قساوة البيئة الحاضنة للأزمة**

المصدر: من إعداد الباحثيْنِ بناءً على الدراسات النظرية للأزمة.

4.2 أبعاد أزمة عمواس:

من خلال تحليلنا لما في بطون المصادر التاريخية ووضع مقاربة اتصالية لمصفوفة أزمة طاعون عمواس، يمكن استخلاص أبعاد الأزمة من خلال النقاط التالية.

1. **مصدر الأزمة:** مصدر أزمة الوباء جاء نتيجة تراكمية معقدة من جثث القتلى التي تُركت بأرض الشام بعد معارك طاحنة بين المسلمين والبيزنطيين، ولم يتم معالجة المشكل نتيجة تتابع المعارك وبلوغها ذروتها أثناء الفتوحات، ضف إلى ذلك طبيعة البيئة القاسية التي عُرفت آنذاك بانحباس المطر لفترات طويلة، مما ساهمت الطبيعة في خلق بيئة حاضنة لنشوء المرض واستفحاله.

2. **ثقل الأزمة:** لقد هددت أزمة الطاعون مصالح حيوية للدولة الإسلامية، خاصة وأنها فتكت بآلاف الأرواح من الناس ومن جند المسلمين، وبالتالي فإنّ أحد القيم الأساسية لتثبيت أركان الدولة كان مهدّدًا وهو الجيش، الذي كان يحارب على جبهات لحماية الخلافة والحفاظ على انتشار الإسلام.

3. **تعقد الأزمة:** في بداية الأزمة كانت الخيارات قليلة أمام مواجهتها، حيث لم يتم السيطرة عليه بعدما ضرب المنطقة بشكل خاطف وسريع وانتشر وسط ذهول كبير بين الناس، وهذه النقطة مَثلت تعقيدًا كبيرًا على الولاة حتى اجتمعوا مع "عمر" رضي الله عنه لعرض المشكل وحله.

4. **كثافة الأزمة:** لم تكن أزمة الطاعون كثيفة بقدر التهديدات الخارجية على جيش المسلمين التي تزامنت مع الفتوحات الإسلامية، حيث أمر "عمر" رضي الله عنه بتعطيل الفتوحات مُؤقّتًا للتفرغ بشكل فعال لإدارة الأزمة.

3. الإستراتيجية الاتصالية لإدارة أزمة طاعون "عمواس"

تدابير القضاء على وباء "عمواس":

– "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه والأزمات:

لقد عُرف الخليفة "عمر" بحرصه الشديد على حماية كيان الدولة ومصالح الأمة، فكل أزمة كانت تَتعرّض لها الخلافة إلّا ويبادر باتخاذ تدابير استعجالية لإدارتها من خلال دهائه الكبير في التخطيط وإيجاد الحلول بشكل سريع مثل ما تقتضيه أصول إدارة الأزمة.

تُجدَر الإشارة هنا إلى أنّ أزمة الجوع التي ضربت ضواحي "يثرب" (المدينة المنورة سنة 17هـ) قد سبقت جائحة الطاعون ببضعة أشهر قليلة، وبالتالي فإن الجاهزية والاستمرارية لعمر وفريقه كانت قائمة بعد التدابير التي اتخذها لمعالجة معضلة الجوع، وعليه فقد اكتسب تجربة فريدة في إدارة الضغوط أثناء الأزمات عن طريق صبره ونَفَسه الطويل المعروف بفنّ حماية مصالح الأمة.

وتذكر بعض الروايات أنّ أزمة حريق الكوفة بالعراق أيضًا من الأزمات التي تركت آثارًا على الخلافة، وهذه التراكمية لم تكن بالأمر السلبي على خلافته رضي الله عنه، بل خلقت فرصًا عديدة للخروج بآليات واستراتيجيات يمكن الاستفادة منها حتى في وقتنا الحالي.

ومن بين الإجراءات التي اتخذها لدرء الوباء نذكر:

1.3 تشكيل فريق الأزمة وإدارة عمليات الاتصال:

قام "عمر" رضي الله عنه بإعادة تشكيل فريق الأزمة الذي عمل على أزمة الرّمادة، وتم العمل بوتيرة متصاعدة لمحاصرة الوباء، فقد أدار عمليات الاتصال من خلال ديوان البريد والرسائل، وفتح قنوات الاتصال بشكل مباشر مع الولاة ومع السكان في قرية عمواس وما جاورها، وأكد على ضرورة متابعة الأزمة بدقة تحت إشرافه كما سنوضحه في النموذج الاتصالي (الشكل رقم **02**).

2.3 منعه الناس من دخول المناطق الموبوءة:

في سنة 17هـ أراد "عمر" رضي الله عنه أن يزور بلاد الشام مرة أخرى، فخرج إليها ومعه المهاجرون والأنصار حتى نزل بمنطقة (سرغ) على حدود الحجاز والشام، فلقيه أمراء الجند فأخبروه بأنّ الطاعون بدأ يتفشى بالشام، فشاور المهاجرين الأوائل واختلفوا بين من يريد الرجوع إلى المدينة وبين من يريد دخول الشام وعدم الفرار من قدر الله، ثم شاور الأنصار فاختلفوا اختلاف المهاجرين، فدعا مشايخ قريش فأشاروا عليه بأنْ يرجع إلى المدينة ولا يعرض حياة من معه إلى الخطر استنادًا لقوله تعالى ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة، الآية 195)، فاستقر "عمر" رضي الله عنه على هذا الرأي واطمئن له بعد أنْ تلى عليه عبد الرحمن بن عوف قول النبي ﷺ في الطاعون: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه) (الأثير، 1980، صفحة 377).

3.3 موافقته على الخروج من البلاد المتضررة من الوباء:

لا يُوجد إجماع تام بين الفقهاء حول حكم الخروج من الأرض الموبوءة شديدة الخطورة، فمنهم من أقر بحرمة الخروج منها استنادًا لقول الرسول ﷺ: (إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا) متفق عليه.

وتكمن الحكمة في منع الخروج من الأرض السقيم الموبوءة أنّ الناس لو هموا بالخروج؛ لصار من عجز عنه بالمرض أو غيره ضائع بالمصلحة، لا يجد من يتعهده حيًّا أو ميتًا، ولو أنه شُرع الخروج، لخرج الأقوياء ولكن في ذلك كسر لقلوب الضعفاء(الأثير، 1980، صفحة 378).

لكن المتفق عليه أنّ "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه، بعد مشاورة وتفكير معمق، أباح الخروج من البلاد التي مسها الوباء، فقد أرسل إلى "أبو عبيدة بن الجراح" رضي الله عنه وأراد أنْ يستقدمه إلى المدينة، فرفض أبو عبيدة القدوم، مبررًا رغبته في البقاء مع جنده في الشام، وقد قال مقولته الشهيرة: (إني في جند المسلمين، ولا أجد بنفسي رغبة عنهم) (الدمشقي، 1999، صفحة 42)، ومن دهاء الخليفة "عمر" أنه أراد الحفاظ على حياة القائد "أبو عبيدة" لما له من مكانة إستراتيجية في قيادة الجيش وتحقيقه انتصارات كبرى كفتح دمشق، ضف إلى ذلك براعته في السياسة والحكمة وأحد المبشرين بالجنة.

هنا يكمن البُعد الاستراتيجي– الاتصالي لقيادة "عمر" رضي الله عنه في الحفاظ على فريقه الأزموي والقيادي، حيث لم يَنفرد بقراره المباشر، بل استند بمرونته التواصلية والقيادية في اتخاذ قرارات مناسبة للحفاظ على أرواح الناس قدر الإمكان.

4.3 عزل الناس نحو الجبال:

روى "ابن كثير" أنه لما اشتد الحال في الشام وبلغ الوباء ذروته في الانتشار، أرسل الخليفة "عمر بن الخطاب" إلى "أبي عبيدة بن الجرح" رضي الله عنهما يدعوه فيها إلى الخروج بالناس إلى أرض النزهة العالية، وقد أمر "أبي عبيدة" حين جاءته رسالة "عمر" "أبو موسى الأشعري" بأن يخرج قبله، وقد سار بالناس لكنه طعن قبل أنْ يحقق ذلك، فاستخلف "معاذ بن جبل" ليكون واليًا للشام، لكنه أُصيب هو الآخر بالوباء وتوفي مع زوجته وابنه عبد الرحمن، فعين "أبو عبيدة" "عمرو بن العاص" ليكون واليًا للشام بدلًا منه، وليصلي بالناس ويكون أمير الجند، وقد قام "عمرو بن العاص" بإلقاء كلمته الشهيرة على الناس حين قام ليخطب في الناس بعدما أصبح واليًا عليهم فقال: (يا أيها الناس، هذا الطاعون رجس، فتفرقوا عنه في هذه الشعاب وفي هذه الأودية).

لقد ساهم الخليفة "عمر" بهذا الإجراء المتمثل في التباعد الجسدي بين الناس في الجبال والشعاب في التقليل من انتشار الوباء، لأن المسلمين كانوا يقدسون التقارب الجسدي خاصة أثناء تأدية العبادات كالصلاة ومجالس العلم، لذلك أمر "عمر" برفع مجالس العلم مؤقتًا وأصر على تطبيق العزل الاجتماعي في الطبيعة كي يتم احتواء الوباء، يقول المؤرخ "الطبري" في هذا الصدد: (وقد تلاشى وباء الطاعون وانحسر بعدما طَبَّق الناس نصائح "عمرو بن العاص"، التي أتى بها من "عمر") (الطبري، 1977، صفحة 488).

5.3 تعطيل بعض الأحكام مُؤقّتًا:

لقد سبق لعمر d أنِ اتّخذَ هذا الإجراء في أزمة الرّمادة، حيث قام بتعطيل بعض الأحكام الشرعية حفاظًا على النفس والمجتمع، وهذا المبدأ (الخاص يُقيِّد العام) هو ضرورة استثنائية ذات بُعد استراتيجي يتم تكييفها وفق طبيعة الأزمة، حيث أمر "عمر" رضي الله عنه بـ:

- ✓ ضرورة تعليق مجالس العلم والمناظرات بين رجال الدين والعلماء الربانيين حتى زوال المرض.
- ✓ التباعد الجسدي بين الناس في الأسواق وضرورة الالتزام بقواعد الحجر المنزلي والخروج إلّا للضرورة القصوى.
- ✓ تجنب التقارب الجسدي كالمصافحة وإلغاء التقاليد الاجتماعية كالزيارات بين الناس والأعمال الخيرية.

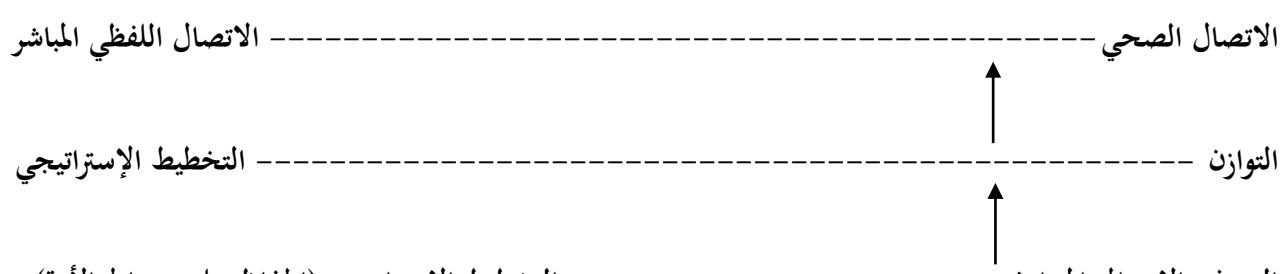
6.3 الاتصال الروحي والتضرع إلى الله عز وجل:

دعا الخليفة "عمر" الناس في عديد الخطب المكتوبة والمسموعة يحثهم فيها على الصبر لتجاوز المحنة التي وقعت بهم، وقد كان يراسل "عمرو بن العاص" يدعوه فيها لكثرة الصلاة والتضرع إلى الله عز وجل لرفع البلاء والوباء عن الأمة الإسلامية خاصة بعدما فتك بكبار الصحابة والناس، فكان بعد كل صلاة يصليها يقول: (أيها الناس استغفروا ربكم ثم ارجعوا إليه وسلوه أنْ يرحمكم ويرفع عنكم هذا البلاء)، وقد ذَكّرهم بما وقع للمسلمين في المدينة المنورة بعد تسعة أشهر (09) من الجوع، ومعاناتهم من انحباس المطر حتى فرجها الله وأنزل المطر، ليحثهم بذلك على الصبر وضبط النفس والثبات لمواجه المرض وشدته.

إنّ قوة الاتصال الروحي مع الخالق عز وجل تجلت في السراء والضراء، وقد كان الخليقة "عمر" شديد الحرص على ذلك خاصة في الأزمات الشديدة، مثل ما وقع عام الرمادة، حيث ساهم الدعاء في رفع البلاء وسقوط المطر قبل أزمة الطاعون.

7.3 النموذج الاتصالي لإدارة أزمة وباء عمواس

الشكل رقم (02): النموذج الاتصالي لإستراتيجية الخليفة عمر (مقاربة اتصالية):



المصدر: من إعداد الباحثيْنِ بناءً على نموذج "جيمس جرونج" الثنائي الاتجاه التماثلي.

من خلال المقاربة الاتصالية للنموذج الاتصالي لإدارة وحل الأزمة، يَتبيّن أنّ "عمر" كان يَعتمد على عنصريْ: التوازن والتخطيط، فالتوازن يكمن في فتح قنوات الاتصال المباشرة بينه وبين ولاته وفريقه الأزموي موازاةً مع حرصه الكبير ولَعب دور القيادة والرقابة تُجاه ساكنة المناطق المتضررة، وذلك للوقوف على متابعة حيثيات الأزمة بدقة، ومن هنا فقد ظهرت أولى آليات الاتصال الصحي المتوازن في اتجاهين كما ذكرنا، اتجاه نحو الولاة والقائمين على إدارة الأزمة والاتجاه الثاني نحو السكان لمتابعة مدى تنفيذهم لتعليمات الحجر الصحي والتباعد الجسدي أثناء دورة حياة الأزمة، أما التخطيط الاستراتيجي فيتمثل في وضع أسس متينة لمقاليد الدولة كتأسيس الدواوين التي ساهمت بدرجة كبيرة في درء الأزمات مثل ما وقع عام الجوع (الرّمادة)، فديوان البريد الذي يعتمد على الرسائل له بُعد اتصالي، ودوين العطاء ساهم في استعادة النشاط وتقسيم المواريث كما سنذكره لاحقًا، ضف إلى ذلك ديوان الجيش والشرطة واللذين ساهما في تطبيق التدابير الوقائية ومراقبتها في المناطق المحاذية للجبال والأودية.

في هذا السياق نلاحظ أنّ هذا النموذج هو مقارب بدرجة كبيرة لنموذج (**جمس جرونج– James Gronig**) لإدارة عمليات الاتصال وتوصيل المعلومة في اتجاهين نحو الجماهير.

هذه المقاربة الاتصالية تُؤكد سبق "عمر" رضي الله عنه في عملياته لإدارة عمليات الاتصال أثناء الأزمات والضغوط، فلا شك أنّ المنهج الذي تَربى عليه قد ساهم في تعزيز مكانة الاتصال وإعطائها مكانة إستراتيجية لإدارة الدولة، كتفعيل آلية الشورى والاستماع إلى العلماء الربانيين في أمهات القضايا الكبرى الحساسة.

4. نهاية أزمة طاعون "عمواس"

1.4 إقامته بالشام بعد احتواء الطاعون والقضاء عليه:

ذكر "ابن كثير الدمشقي" أنه بعد انقضاء الوباء من بلاد الشام، ولى "عمر بن الخطاب" "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه المدينة المنورة، وارتحل هو إلى بلد الشام ليكون واليًا عليها بنفسه، خصوصًا أنّ أطماع أعداء الدولة الإسلامية في بلاد الشام زادت نتيجة الفتوحات وانشغال الناس والولاة آنذاك بالطاعون والوفيات، وقد قال "ابن كثير" عن ذهاب "عمر" رضي الله عنه إلى الشام: (طابت قلوب الناس بقدومه، وانقمعت الأعداء من كل جانب لمجيئه إلى الشام).

عَكف الخليفة "عمر" رضي الله عنه على ضرورة استعادة النشاط في المناطق التي تضررت بشدة من الوباء، فقد أمر باستئناف كل النشاطات اليومية بالتدريج كالتجارة وأداء العبادات وعودة الحياة إلى طبيعتها، وقد ذكر "ابن كثير" في هذا السياق أنّ "عمر" حرص للنزول إلى الناس من أجل توزيع المواريث التي لم يعرف الولاة تقسيمها، وعيّن "عبد الله بن قيس الحارثي" على سواحل الشام، و"معاوية بن أبي سفيان" على الشام كلها، لتكون له آخر زيارة ببلاد الشام (الدمشقي، 1999، صفحة 78).

2.4 أهم المبادئ الصحية المستخلصة من الأزمة:

أ. الأبعاد الدينية:

لقد حملت الإستراتيجية التي تبناها الخليفة "عمر" رضي الله عنه في إدارة أزمة وباء عمواس أبعادًا دينية، فهذه الإستراتيجية استندت إلى هذي القرآن الكريم والسنة النبوية، وفيما يلي أهم ما اتبعه "عمر" لدرء الوباء:

– أول اتخاذ قام به حين ضرب الوباء بلاد الشام، أنه جمع كبار الصحابة ليشكل فريقه الأزموي ويستشيرهم في تلك الجائحة، لأنه لم يجدْ مرجعًا في القرآن أو السنة كي يبني عليه ما يساعده في هذه الأزمة، وقد اعتمد على الشورى كمبدأ شرعي أمر به النبي ﷺ (المهدي، 2006، صفحة 09) في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى، الآية 38).

– إنّ اليقظة الإستراتيجية والحس الأمني الذي كان يتمتع به "عمر" جعلاه يأخذ برأي تجنب دخول الشام، وبالتالي تجنب مسببات الضرر، وتحقيق غاية الحفاظ على النفس وحمايتها مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ (البقرة، الآية 195).

– قَرّر "عمر" بشكل نهائي عدم الذهاب إلى بلاد الشام والعودة إلى يثرب، بعدما سمع حديث الرسول ﷺ من "عبد الرحمن بن عوف" والذي قال فيه: (إذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض أنتم فيها فلا تخرجوا فرارًا منه) متفق عليه، والسبب في ذلك أنّ "عمر" وَجد نصًّا من السنة النبوية ويعمل به، فكان يَعلم أنّ في حديث الرسول ﷺ الحلول الجذرية والناجعة للجائحة التي حَلت بالمسلمين آنذاك(هبيرة، 2013، صفحة 294).

– حرص "عمر بن الخطاب" على إخراج "أبو عبيدة بن الجراح" من البلاد المتضررة، ليس مخالفة لحديث النبي ﷺ (الدمشقي، 1999، صفحة 42)، وإنما قَرّر ذلك ﷺ لما رأى فيه مصلحة للأمة، لأن أمين الأمة رجلًا متينًا وحكيمًا، وكان له الفضل في تحقيق انتصارات في بلاد الشام.

ب. الأبعاد الحضارية:

– الشورى إحدى أهم المبادئ الإستراتيجية– الاتصالية التي تَوطّدت عليها إدارة الدولة في حكمه d، ولها أهمية كبيرة في ربط الحاكم بالمحكومين (نشاط اتصالي)، وتُساعد الحاكم على اتخاذ القرار بدقة وما ينعكس ذلك إيجابًا على مصالح الأمة وبسط العدالة في المجتمع.

– وقد كان الرسول ﷺ أكثر الناس مشورة لأصحابه في أمور السلم والحرب، وغيرها من الأمور التي لم ينزل فيها الوحي (المهدي، 2006، صفحة 10).

– اعتمد "عمر" مع فريقه الأزموي على تغليب الكثرة عند وقوع خلاف في الرأي، وقد اكتفى عمر بمشاورة الصحابة الذين يَلتمِس فيهم حَصَافة العقل والنفع منهم، وقد أقرَّ "عمر" برأي الأغلبية في مجلس الشورى مقتديًا "بأبي بكر الصديق" رضي الله عنه والنبيﷺ، للأخذ بالقرار السديد وقد قال الرسول ﷺ: (عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة رواه الترمذي (العسقلاني، 2010، صفحة 190).

ج. الأبعاد الإستراتيجية الاتصالية:

– اهتمام الخليفة "عمر" رضي الله عنه بإدارة الأزمات نابع من حرصه الشديد على حماية الدولة ومصالح الأمة.

– بذل جهود كبرى لإبقاء الاتصال المباشر بينه وبين الرعية والولاة لمتابعة تطورات الوباء ودورة حياته.

– ارتكزت إدارة الأزمة على **الاتصال الصحي** (**Healthy communication**) والذي اعتمد فيه على مجموعة من الرموز والدلالات الإقناعية للحفاظ على صحة الناس وتقليل الوفيات.

– الإستراتيجية الاتصالية لإدارة أزمة طاعون عمواس كانت متزنة ومرنة، حيث أخذ برأي الفريق الأزموي والعمل على تطبيقه وتكييف الأوضاع الطبيعية مع طبيعة الوباء كتوقيف مجالس العلم مؤقتًا، التباعد الجسدي، العزل الاجتماعي في الجبال والقرى وغيره من الإجراءات الناجعة.

– العودة التدريجية إلى الحياة العادية أمر بأهمية حيوية للدولة والمجتمع بعد كل وباء، وهذا ما أمر به "عمر" لاستعادة النشاط في أسرع وقت مع اليقظة الإستراتيجية لذلك.

– الاعتماد على الأنظمة الوقائية لتجنب الأوبئة والتعلم من تجربة طاعون عمواس، حيث انتبه "عمر" إلى ضرورة نقل جبهات القتال بعيدًا عن المناطق الحضرية الحيوية كالشام والعراق ومصر لتفادي سيناريو مشابه لطاعون عمواس.

د. طاعون عمواس أزمة وفرصة:

أزمة طاعون عمواس هي أزمة شديدة وفي نفس الوقت تُمثل متلازمة لفظية– تاريخية في الوقت نفسه، حيث ساهمت هذه الأزمة في خلق نموذج اتصالي صحي ذو طابع إسلامي يمثل المدرسة الإسلامية في فن إدارة الأزمات الصحية، وبذلك أرسى "عمر" رضي الله عنه قواعد وبروتوكولات صحية كيّفها مع الواقع دون الإخلال بمبادئ العقيدة، ومن بين الفرص التي جاءت بها الأزمة هي:

- ✓ تعلم الصبر وضبط النفس وعدم التسرع في اتخاذ القرارات.
- ✓ الحجر الصحي المنزلي والعزل الاجتماعي.
- ✓ معرفة القيمة الإيكولوجية للجبال والأودية والشعاب في الأزمات الصحية.
- ✓ إمكانية تكييف بعض الفرائض والعادات الاجتماعية ذات البعد الديني والرمزي مع واقع الأزمة.
- ✓ تبني نموذج اتصال صحي مبني على التوازن، التخطيط الاستراتيجي، الرقابة والصرامة في تطبيق التعليمات.

خاتمة:

ختامًا لما سبق طرحه يمكن القول بأن أزمة وباء عمواس يعتبر أولى الأزمات الصحية في الخلافة الرشيدة، وبذلك فقد سَجل هذا الطاعون أزمة صحية شديدة الخطورة على الدولة الإسلامية في زمن حساس (ذروة التوسع)، ولكن رغم هذا إلّا أنّ "عمر" قد تَحمّل مسؤولية إدارة هذه الأزمة رغم خروجه من أزمة الجوع قبلها بأشهر قليلة، كما يمكن القول بأنّ الخليفة "عمر" قد تمرس على إدارة الأزمات مع فريقه الأزموي الذي كان جاهزًا لحماية كيان الخلافة، وبالتالي فإن إدارة الأزمة في خلافته كانت مرتبطة بفن حماية الدولة.

أما نتائج دراستنا تمثلت في:

– وباء عمواس كان عظيم الخطر على الأمة الإسلامية في الخلافة الرشيدة، وقد راح بسببه ما يناهز العشرون ألفًا، وهو عدد يقارب نصف الساكنة بالشام.

– يُعتبَر الحجر الصحي والعزل الجماعي من أهم التدابير الوقائية والعلاجية للحد من انتشار الأوبئة في عصرنا الحالي، وبالتالي فالخليفة الراشد "عمر" رضي الله عنه أول من أسس لهذه القواعد الصحية والمتمثلة في منع الدخول إلى المناطق الموبوءة.

– إنّ الاتصال هو الركيزة الأساسية لإدارة الأزمات، والخليفة "عمر" بنى استراتيجيته على الاتصال المتمثلة في: الشورى، الاتصال المباشر بين الرعية والولاة، الخطب الموجهة للناس عامة، الاتصال الروحي والدعاء.

– أدى التخطيط الاستراتيجي دورًا كبيرًا في احتواء الأزمة، من خلال التدابير الذكية المكيفة مع الوضع العام للوباء، فالمتابعة الدقيقة من قبل الخليفة "عمر" وتوجيهاته الصارمة ساهمت في درء الأزمة والتضامن المجتمعي مع المتضررين.

– الصبر وطول النفس مع الأزمة، وهذان المتغيران ساهمَا بشكل كبير في احتواء الوباء، وقد دعا الخليفة "عمر" الناس إلى الصبر والتضرع إلى الله بالدعاء والالتزام بتعليمات الولاة في المناطق المتضررة بالمرض.

– النموذج الاتصالي المقارب لإدارة أزمة طاعون عمواس هو **النموذج المتوازن في اتجاهين**، المرتكز على المرونة والتوازن والاتصال.

– استراتيجية "عمر" لاحتواء الوباء انبثقت من المنهج المحمدي الحكيم، وهذا يدل على مدى تأثير تربية النبي ﷺ على شخصيته.

– يُمكن تكييف بعض الأحكام العامة في العبادات، كرفع مجالس العلم والتباعد أثناء تأدية الصلوات حفاظًا على النفس والمجتمع.

أما التوصيات فنقترح:

– القيام بدراسات استراتيجية اتصالية لإدارة الأزمات الصحية خلال فترة حكم الخلفاء الراشدين، لتبني نماذجهم وتكييفها مع متطلبات العصر الحالي.

– اهتمام الباحثين بهذا النوع من الدراسات لإظهار سبق المسلمين في التعامل التكتيكي مع الأزمات الصحية.

– العمل على استخلاص المبادئ الاستراتيجية– الاتصالية لأزمة وباء عمواس، وعقد مؤتمرات علمية حولها وإعادة دراستها من جديد للاستفادة منها.

المصادر والمراجع:

1. ابن الأثير. (1980). *الكامل في التاريخ*. لبنان: دار صادر للنشر.
2. ابن القيم الجوزية. (2009). *زاد المعاد في هدى خير العباد*. مصر: دار الفكر للنشر.
3. ابن جرير الطبري. (1977). *تاريخ الأمم والملوك*. مصر: دار المعارف للنشر.
4. ابن حجر العسقلاني. (2010). *فتح الباري في شرح صحيح البخاري*. لبنان: دار المعرفة للنشر.
5. ابن سينا. (2000). *القانون في الطب*. لبنان: دار الكتب العلمية للنشر.
6. ابن عبد البر. (2005). *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*. مصر: دار الكتب للنشر.
7. ابن كثير القرشي الدمشقي. (1999). *البداية والنهاية*. لبنان: دار الكتب العلمية.
8. ابن منظور. (2005). *لسان العرب*. لبنان: دار صادر للنشر.
9. أبو عبد الله الواقدي. (1980). *كتاب المغازي*. لبنان: دار الأسلمي للنشر.
10. أحمد البلاذري. (1980). *فتوح البلدان*. مصر: دار الكتب للنشر.
11. أحمد العدوي. (1999). *الطاعون في العصر الأموي: صفحات مجهولة من التاريخ الأموي*. لبنان: المركز العربي للنشر.
12. حسين بن محمد المهدي. (2006). *الشورى في الشريعة الإسلامية*. مصر: مكتبة المحامي.
13. عبد الرحمن ابن الجوزي. (1985). *صفة الصفوة*. لبنان: دار المعرفة للنشر.
14. عبد الغني الدقر. (1975). *معجم القواعد العربية*. مصر: دار الكتب للنشر.
15. محمد علي الصلابي. (2005). *سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: ضخصيته وعصره*. القاهرة، مصر: مؤسسة اقرأ للنشر.
16. يحي بن هبيرة. (2013). *الإفصاح في المعاني الصحاح*. سوريا: دار النوادر للنشر.